رسالة
في علّة جلوس أمير المؤمنين عليه السلام عمَّن تقدَّمَهُ، وحربه معاوية

لجمال الدين أحمد بن محمّد بن فهد الحلّي (ت ٨٤١هـ)

تحقيق: مسلم حسين

Moslemisfahani@gmail.com

النجف الأشرف

الملخص

لعلَّ من أهمِّ الموضوعات التي شغلت أذهان الباحثين في تاريخ العصور الإسلاميّة الأولى هي حقيقة علاقات أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام مع مَن تقدَّمَهُ، وتقمّص ثوب خلافة سيِّد المرسلين صلى الله عليه وآله في حين نرى أنَّهُ – صلوات الله عليه – قعد عن حرب الأوّلين ومناضلتهم – إذا صحّ التعبير–، وقام بحرب معاوية بن أبي سفيان، ودفع معارضته مع تحمّل خسارات هائلة.

لقد كثرت التساؤلات والنظريّات عن الموضوع، تارةً بين المسلمين أنفسهم، وتارةً بين غير المسلمين من المستشرقين والباحثين عن الغوامض التاريخيّة. فتصدَّى بعضُهم للإجابة عن هذه المسألة المهمة في دراسة التاريخ الإسلامي، وصلتها الواضحة بالمباحث الكلاميّة خاصّة في قضيّة استحقاق الخلافة، وعصمة الإمام وعلمه. وكان ابن فهد الحليّ قد أجابَ عن هذا السؤال، ونوَّه إلى حقائق تاريخيّة صادمة تتعلّق بالقضيَّة، فهو في جوابه الشافي والمختصر أشار أوَّلًا إلى أسباب قعود أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب عليه السلام عن حرب المتخلّفين الأوّلين، وثانيًا إلى أسباب قيامه بحرب معاوية مع بيان قاعدة عامَّة في كيفيَّةِ تفسيرِ أفعال المعصومين عليهم السلام في نهاية الجواب.

الكلمات المفتاحيّة:

الخلافة الإسلاميّة، الخلافة الراشدة، معركة صفّين، عصمة الإمام، ابن فهد الحلّي.

A Message of the Reason Behind the Sitting of the Prince of the Believers (peace be upon him) About Those Who Preceded Him، and His War with Muawiyah to Jamal Al-Din Ahmed bin Muhammad bin Fahd al-Hilli (841 AH)

Investigation: Muslim Hussein

Moslemisfahani@gmail.com

Najaf

Abstract

Perhaps one of the most important topics that occupied the minds of researchers in the history of the early Islamic eras is the reality of the relations of the Prince of the Believers, Ali bin Abi Talib - peace be upon him - with those who preceded him, and the assumption of the caliphate of Saayed of the Messengers - may God's prayers and peace be upon him and his family - while we see that he stopped warring of the firsts and their struggle, and he went to war of Muawiyah bin Abi Sufyan, and he pushed his opposition while bearing huge losses.

Questions and theories on this topic abounded, sometimes among Muslims themselves and sometimes among non-Muslims who are orientalists and researchers of historical ambiguities. Some of them responded to this important issue in the study of Islamic history, and its clear connection with theological investigations, especially in the issue of entitlement to the caliphate, the infallibility of the Imam and his knowledge. Ibn Fahd al-Hilli answered this question and pointed out shocking historical facts related to the case. In his satisfactory and brief answer, he referred first to the reasons for the stop warring Ali bin Abi Talib - peace be upon him – with first ones, and secondly to the reasons for his conduct of a war with Muawiyah by an explanation of a general rule on how to interpret the actions of the infallibles, peace be upon them, at the end of the answer.

Keywords:

Islamic caliphate, Rasheeda caliphate, Siffin Battle, the infallibility of the Imam, Ibn Fahd al-Hilli.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَصَلّى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ سَيِّدِ المُرسَلين وَعَلى آلِه الطَيّبين الطاهرين وَاللَعن عَلى أعدائِهم أجمَعين.

رُوي عَن مَولانا الإمام الحَسن بن عَليٍّ الزكيّ العسكريّ عَلَيْهِما السَّلاَمُ، قَالَ: قَالَ اَلْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ: فَضْلُ كَافِلِ يَتِيمِ آلِ مُحَمَّدٍ اَلْمُنْقَطِعِ عَنْ مَوَالِيهِ اَلنَّاشِبِ فِي رُتْبَةِ اَلْجَهْلِ، يُخْرِجُهُ مِنْ جَهْلِهِ وَيُوضِحُ لَهُ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ، عَلَى فَضْلِ كَافِلِ يَتِيمٍ يُطْعِمُهُ وَيَسْقِيهِ، كَفَضْلِ اَلشَّمْسِ عَلَى اَلسُّهَا[1].

فضّل الله ـ سبحانه وتعالى ـ العلماء حتّى جعل مدادهم أفضل من دماء الشهداء، ولا غروَ بذلك حيثما كان العلماء الربانيّون قد أوقفوا أنفسهم على الاغتراف من عيون علوم أهل البيت عليهم السلام الصافية، وخدمة الشريعة الإسلاميّة، ونشر مبادئها وأحكامها، وهداية الناس، وإنقاذ الأمّة عن الجهل، ودلالتهم نحو الرشاد والسداد، فحينئذٍ من المتحتّم على عموم المسلمين أن يستهدوا بهم، ويجتنوا ثمرات علومهم، ليكونوا على بصيرة من أمرهم من الإيمان بالعقيدة، والالتزام بالشريعة، وعليهم بتفادي المضلّين الأشرار، والاحتفاظ بطريق العلماء الأبرار.

وحينما قام علماء الشيعة بإنارة سراج الهداية، وتبيين ما اشتبه على الأُمّة إثر انقطاعهم عن حضور المعصوم، وسلطة الطواغيت، بادروا إلى نشر ما وصل من علوم أهل البيت عليهم السلام، ووفوا بما عاهدوا الله سبحانه عليه من إظهار العلم وإنكار الباطل، فشيعة آل أفضل المرسلين ـ عليهم أفضل صلوات المصلّين ـ كانوا ينتجعون ضالّتم لديهم، وما زالوا يسألونهم عن خبايا الأمور والغوامض، ومن أحد النماذج الراقية الذي يدلّ على استقرار هذه السيرة الحسنة، هو ما سئل عنه أسوة فقهاء الحلّة، وقدوة عرفاء الأمّة، **الشيخ جمال الدين أحمد بن شمس الدين محمّد بن فَهد الحلي** ـ قدّس الله سرّه ـ ووفّقه الله تعالى لإجادة الجواب واستيفاء المرام.

(١) بحار الأنوار ٢ : ٣

ونظـرًا إلى قيمة هذا الأثر الثمين عـلى الرغم من إيجازه واختصاره مع خطورة موضوع السـؤال وإتقـان الجواب، قمنا بتقديـم هذا الأثر بعـد تحقيقه، وجعله في متنـاول أيـدي القـرّاء الكـرام، راجين رضـا الله سـبحانه، وانتفـاع المؤمنين وأهل التحقيق به.

المؤلّف في سطور:

هـو الشـيخ جمـال الدين أبـو العبّـاس، أحمد بن شـمس الدين محمّـد بن فهد، الأسـدي الحلّي، ولد ﵀ في سـنة ٧٥٧ هجريّة[١]، ولم يُذكر محلّ ولادته في التراجم، وإن كان نشـوؤه في مدينـة الحلّة يقوّي الظنّ بولادته فيهـا. وكانت هذه المدينة من مراكـز العلم الشـهيرة في العالم الإسـلامي آنذاك، وكانت حافلـة بالعلماء ومجالس العلم والمذاكرة والمدارس، وحازت مدرسـة الحلّة قصبَ السَّـبْق في قيادة المجتمع الشـيعي من بداية القرن السـابع إلى نهاية القرن التاسـع الهجريّين إثر حسـن تدبير علمائهـا في مواجهـة الظـروف الصعبـة التـي عاشـتها البـلاد الإسـلامية آنـذاك، وابتعادهـا عـن سـلبيّات التقلبّات السياسـيّة، ولا يسـعنا تفصيـل البحث في هذا المضمار. ووافقت هذه الفترة أيّام سـلطنة الملـوك الجلايريّين[٢] على معظم العراق، المعروفين بتسـامحهم وبانحيازهم إلى مذهب أهل البيت ﵈. درس ابن فهد الحلّي على أكبر أسـاتذة الحلّة في المدرسـة الزينيّة[٣]، حتّى حاز رتبـة الاجتهاد، وكانت له

(١) الكنـى والألقـاب ١/ ٣٨١. هـذا هو المشـهور، لكن صاحب أعيان الشـيعة تردّد بـين ٧٥٦ هـ أو ٧٥٧هـ.

(٢) من ١٣٤٠ إلى ١٤٣٢ الميلاديّين.

(٣) ذَكَرَ بعضهم اسـم هذه المدرسـة بعنوان الزينبيّـة أو الزعبيّة (راجع أعيان الشـيعة ١/ ١٤٧)، لكن ما أوردناه هو الصحيح، والمدرسـة الزينبيّة هي مدرسـة أخرى في الحلّة منسـوبة إلى واقفتها زينب بنت الفاضل اليوسـفي الآبي صاحب كتاب كشـف الرموز، والمدرسـة الزينيّة منسـوبة إلى مؤسّسـها زين الدين، عليّ بن الحسـن بن الخازن الحائري السرابشـنوي الذي كان معاصرًا لنظام الدين عليّ بن محمد بـن عبـد الحميـد النيلي، وضياء الدين عـليّ بن الشـهيد الأوّل محمّد بن مكّي العامـلي، فقد قال خضر

مجالس حافلة يحضرها كثيرٌ من طلبة العلم الوافدين من أقاصي البلاد الإسلاميّة، وبعد مدّة انتقل إلى كربلاء المقدّسة، وازدادت حوزة كربلاء بعد حضوره ازدهارًا وبهاءً، واستقرّ فيها حتّى توفّاه الأجل.

وممّا ينسب إلى ابن فهد الحلّي انحيازه إلى التصوّف، ولعلّ نعم ما قيل في هذا المجال هو كلام صاحب أعيان الشيعة: «فالتصوّف الذي يُنسب إلى هؤلاء الأجلّاء مثل ابن فهد وابن طاوس[1] والخواجة نصير الدين[2] والشهيد الثاني[3] والبهائي[4] وغيرهم، ليس إلّا الانقطاع إلى الخالق ـ جلّ شأنه ـ، والتخلّي عن الخلق، والزهد في الدنيا، والتفاني في حبّه تعالى، وأشباه ذلك، وهذا غاية المدح، لا ما ينسب إلى بعض الصوفيّة ممّا يؤول إلى فساد الاعتقاد ـ كالقول بالحلول، ووحدة الوجود، وشبه ذلك ـ أو فساد الأعمال، كالأعمال المخالفة للشرع التي يرتكبها كثير منهم في مقام الرياضة أو العبادة وغير ذلك»[5].

ابن محمّد بن علي الرازي الحبلرودي (أعيان الشيعة ٦/ ٢٢٣): «فيقول العبد المفتقر إلى الله الوليّ، المتمسّك بالكتاب المبين والعترة الطاهرة بعد النبيّ، خضر بن محمّد بن عليّ الرازي الحبلرودي الملازم لخزانة المشهد الشريف الغرويّ: إنّي لمّا عزمتُ على زيارة الأربعين في سنة ٨٣٩هـ، ووصلتُ إلى المدرسة الزينيّة مجمع العلماء والفضلاء بالحلّة السيفيّة الفيحاء معدن الأتقياء والصلحاء...». ولعلّ محلّ المدرسة اليوم هو نفس مكان مرقد الشيخ عليّ الشافيني المعروف حاليًّا في الحلّة.

(١) السيّد أبو القاسم عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن طاوس الحليّ الملّقب برضّي الدين (٥٨٩ – ٦٦٤ هـ).

(٢) محمّد بن محمّد بن الحسن، المعروف بالخواجة نصير الدين الطوسي (٥٩٧ ــ ٦٧٢ هـ).

(٣) زين الدين بن عليّ الجباعي العاملي المعروف بالشهيد الثاني (٩١١ ــ ٩٦٥ هـ).

(٤) بهاء الدين محمّد بن حسين الحارثي المعروف بالشيخ البهائي أو بهاء الدين العاملي (٩٥٣ – ١٠٣٠ هـ).

(٥) أعيان الشيعة ٣/ ١٤٧.

أساتذته:

تتلمذ ابن فهد الحلّي على جماعة من شيوخ العلم في الحلّة وفي غيرها، وحضر حلقاتهم العلميّة، منهم:

١. الشيخ زين الدين، عليّ بن الخازن الحائري.

٢. عليّ بن يوسف بن عبد الجليل النيلي.

٣. ابن المتوّج البحراني.

٤. المقداد بن عبد الله السيوري.

٥. جمال الدين ابن الأعرج العميدي.

٦. السيّد عليّ بن عبد الحميد النيلي النسّابة الحسيني.

٧. جلال الدين عبد الله شرفشاه.

قال الميرزا محمّد باقر الموسوي الخوانساري[١]: «وله الرواية بالقراءة والإجازة عن جملة من تلامذة الشهيد الأوّل وفخر المحقّقين، كالشيخ مقداد السيوري، وعليّ بن الخازن الحائري، وابن المتوّج البحراني المتقدّم ذكره، وكذا عن السيّد الجليل النقيب بهاء الدين أبي القاسم عليّ بن عبد الحميد النيلي النسّابة صاحب كتاب الأنوار الإلهيّة، وغيره».

وممّا ينبغي الالتفات إليه هو التمييز بين ابن فهد الحلّي هذا، وأحمد بن فهد ابن إدريس المقري الأحسائي المشهور بابن فهد أيضًا، وقد نبّه على ذلك المحدّث البحراني[٢]، إذْ قال في ترجمة الشيخ شهاب الدين أحمد بن فهد الأحسائي: «واعلم أنّ ابن فهد هذا وابن فهد الأسدي المشهور متعاصران، ولكلّ منهما شرح على إرشاد العلّامة، وقد يتّحد بعض مشايخهما أيضًا، ومن هذه الوجوه كثيرًا ما يشتبه الأمر فيهما، ولا سيّما في شرحيهما على الإرشاد».

(١) روضات الجنّات ١/ ٧٢.

(٢) الكشكول ١/ ٢٣٨.

تلامذته:

تَلمذَ له كثير من طلبة العلم[1] من بلاد فارس، والعراق، وجبل عامل، والبحرين، والقطيف، و سائر البلاد، وروى عنه بعض كبار العلماء، منهم:

١. زين الدين، أبو الحسن، عليّ بن هلال الجزائري، الملقّب بشيخ الإسلام (ت ٩٣٧ هـ).

٢. رضيّ الدين حسين الشهير بابن راشد القطيفي، له من الكتب: وفاة الرسول صلى الله عليه وآله.

٣. عبد السميع بن فيّاض الأسدي الحلّي، له: الفرائد الباهرة في الإمامة.

٤. عزّ الدين الحسن بن يوسف بن أحمد الشهير بابن العشرة الكركي الكسرواني (ت ٨٦٢ هـ).

٥. مفلح بن الحسن بن رشيد بن صلاح الصيمري، له: إلزام النواصب بخلافة عليّ ابن أبي طالب عليه السلام، وديوان شعر في المناقب والمثالب والمراثي (ت حوالي ٩٠٠ هـ).

٦. شمس الدين، محمّد بن محمّد بن الحسن الحولاني العاملي (كان حيًّا ٨٢٥هـ).

٧. محمّد بن فلاح المشعشعي، مؤسّس دولة المشعشعيّين في خوزستان (قتل ٨٦١ هـ، وقيل: إنّ أستاذه أمر بقتله بسبب انحرافاته[2]).

٨. عليّ بن فضل بن هيكل، استنسخ كتاب الأدعية والختوم لابن فهد[3].

(١) راجع مقدّمة موسوعة ابن فهد الحليّ، وروضات الجنّات ١/ ٧٢، وأعيان الشيعة ٣/ ١٤٨.

(٢) أعيان الشيعة ١٠/ ٣٨.

(٣) المصدر نفسه ٣/ ١٤٨.

كتبه المطبوعة:

١. التحصين في صفات العارفين، طهران، سنة ١٣١٤هـ في حاشية مكارم الأخلاق، وفي قم، سنة ١٤٠٦ هـ مع (مثير الأحزان).

٢. عدّة الداعي ونجاح المساعي، طهران، ١٢٧٤هـ.

٣. الفصول في دعوات أعقاب الفرائض،١٣١٤هـ، في حاشية مكارم الأخلاق.

٤. المقتصر من شرح المختصر، المشهد الرضوي، ١٤٠١ هـ.

٥. المهذّب البارع في شرح المختصر النافع، قُم، المجلّد الأوّل، ١٤٠٧هـ، والمجلّد الثاني، ١٤١١هـ.

رسائله:

طبعت مجموعة من رسائله باسم (الرسائل العشر) في قم ١٤٠٩هـ، وتشتمل على:

١. جوابات المسائل البحرانيّة.

٢. جوابات المسائل الشاميّة الأولى.

٣. رسالة وجيزة في واجبات الحجّ.

٤. غاية الإيجاز لخائف الإعواز.

٥. كفاية المحتاج إلى مناسك الحاجّ.

٦. اللمعة الجليّة في معرفة النيّة.

٧. المحرّر في الفتوى.

٨. مصباح المبتدي وهداية المقتدي.

٩. الموجز الحاوي لتحرير الفتاوي.

١٠. نبذة الباغي في ما لابدّ منه من آداب الداعي.

ونُسِبَ إليه كتاب (استخراج الحوادث)[1] أو ما يشبه هذا.

قال عنه الميرزا الخوانساري[2]: «الشيخ العالم العامل، العارف الملّي، وكاشف أسرار الفضائل بالفهم الجبلّي... له من الاشتهار بالفضل والإتقان، والذوق والعرفان، والزهد والأخلاق، والخوف والإشفاق، وغير أولئك من جميل السياق، ما يكفينا مؤونة التعريف، ويغنينا عن مرارة التوصيف. وقد جمع بين المعقول والمنقول، والفروع والأُصول، والقشر واللبّ، واللفظ والمعنى، والظاهر والباطن، والعلم والعمل، بأحسن ما كان يجمع ويكمل».

وقال الميرزا عبد الله الأفندي الأصفهاني[3]: «الفاضل العالم، العلّامة الفهّامة، الثقة الجليل، الزاهد العابد، الورع، العظيم القدر».

وقال الحرّ العاملي[4]: «فاضل عالم ثقة صالح زاهد عابد ورع جليل القدر».

وقال الشيخ أسد الله التستري[5]: «أبو العبّاس...، الشيخ الأفخر، الأجلّ الأوحد، الأكمل الأسعد، ضياء المسلمين، برهان المؤمنين، قدوة الموحّدين، فارس

(١) أعيان الشيعة ٢/ ٢٠. ولعلَّ كلامه هو أنسب ما قيل في هذا المجال، إذْ قال في ٣/ ٢٠٢: «والذي أظنّه أنّ ابن فهد له رسالة في استخراج بعض الحوادث المستقبلة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام لا غير، وهذا ممكن ومعقول، أمّا أنّ فيها جملة من أسرار العلوم الغريبة، فهو من التقوّلات التي تقع في مثل هذا المقام. وكذلك كون ابن فلاح وقع بيده كتاب السحر الذي أمر ابن فهد بإتلافه، المظنون أنّه من جملة التقوّلات، فابن فلاح قد ظهر منه ضلال وخروج عن حدود الشرع بعد ما كان تلميذ ابن فهد، وتبرّأ منه ابن فهد، وأمر بقتله، فصار هنا مجال للتقوّل بأنّ ابن فهد كان صنّف له رسالةً فيها من أسرار العلوم الغريبة، فسخّر بها القلوب، أو أنّه وقع بيده كتاب سحر. وكلّ ذلك لا أصل له، مع إمكان أن يكون وقع بيده كتاب سحر، فذلك أقرب من أنّه كتب له في رسالته من أسرار العلوم الغريبة، فإنّ ذلك ليس عند ابن فهد ولا غيره، ولكنّ الناس يسرعون إلى القول في حقّ من اشتهر عنه الزهد والعبادة بأمثال ذلك، ويسرع السامع إلى تصديقه».

(٢) روضات الجنّات ١/ ٧٢.

(٣) رياض العلماء ١/ ٦٤.

(٤) أمل الآمل ٢/ ٢١.

(٥) مقابس الأنوار ١/ ١٤.

مضمار المناظرة مع المخالفين والمعاندين، أسوة العابدين، نادرة العارفين والزاهدين، أبي المحامد، جمال الدين أحمد بن محمّد بن فهد الحلّي ـ قدس الله روحه الزكيّ ».

وقال المحدِّث القمّيُّ[1]: «الشيخ الأجل الثقة، الفقيه الزاهد، العالم العابد، الصالح الورع التقي، صاحب المقامات العالية، والمصنّفات الفائقة».

وفاته:

قال المحدِّث القمي[2]: «تُوُفِّيَ سنة ٨٤١ هـ، ودفن في جوار أبي عبد الله الحسين عليه السلام قرب خيمكاه، وقبره مشهور يزار، وينقل عن السيد الأجلّ صاحب الرياض أنّه ينتابه ويتبرّك به».

وقال الميرزا الخوانساري[3]: «وقد تُوُفِّيَ ابن فهد المذكور سنة إحدى وأربعين وثمانمائة، وهو ابن خمس وثمانين سنة رحمه الله تعالى. وفي رجال بحر العلوم أنّه ولد في ٧٥٧هـ، وتوفّي في التاريخ المذكور، فيكون مبلغ عمره أربعًا وثمانين سنة. وقبره رحمه الله معروف بكربلاء المشرّفة وسط بستان يكون بجنب المخيّم الطاهر، وقد تشرّفتُ بزيارته هناك، وكان السيّد صاحب الرياض يتبرّك بذلك المزار كثيرًا، ويكثر الورود عليه، كما سُمع من الثقات».

وقال السيّد محسن الأمين[4]: «تُوُفِّيَ سنة ٨٤١ عن ٨٥ سنة، ودفن بكربلاء، بالقرب من مخيّم سيّد الشهداء عليه السلام، في بستان هناك تسمّيه العامّة: بستان أبو الفهد[5]، وقبره مزور متبرّك به، وعليه قبّة. وقيل: إنّ عمره ٥٨ سنة، والظاهر أنّه اشتباه بجعل الخمس خمسين، والثمانين ثمانية. والله أعلم».

(١) الكنى والألقاب ١/ ٣٨٠.
(٢) المصدر السابق ١/ ٣٨١.
(٣) روضات الجنّات ١/ ٧٤.
(٤) أعيان الشيعة ٣/ ١٤٧.
(٥) واليوم لا يوجد أثرًا من هذا البستان؛ ولكن المزار موجود.

موضوع الرسالة:

الرسالة تحتوي على سؤال وُجّه إلى ابن فهد الحلّي، ولا نعرف من هو السائل. وقد سأل عن سبب كفّ أمير المؤمنين عليه السلام عن حرب أبي بكر وعمر وعثمان، بخلاف معاوية فإنّه قام بحربه. ويبدو أنَّ السَّائلَ استغربَ من ذلك، فأجابه ابن فهد الحلّي باختصار، وأعرب عن أسباب قعود أمير المؤمنين عليه السلام عن حرب أولئك، وقيامه بحرب معاوية، وأشار إلى اختلاف الظروف ومقتضيات الزمان.

عنوان الرسالة:

لم نقف على اسم لهذه الرسالة، ولم نعثر على ذكر لها ضمن مؤلّفات ابن فهد الحلّي رحمه الله، فَسَمَّيناها: رسالة في علّة جلوس أمير المؤمنين عليه السلام عمّن تقدّمه، وحربه معاوية.

التعريف بالمخطوطة:

المخطوطة الوحيدة التي تحتوي على هذا السؤال والجواب - ولم نعثر على أَيّ نسخة أخرى بعد البحث عنها، ولربّما توجد في الآتي - هي النسخة المحفوظة في مكتبة مجلس الشورى في إيران، برقم ١٠٠٧٠، وتحتوي على أكثر من ثلاثين رسالة في مختلف الموضوعات، ومن المؤسف أنَّ المُفَهرِسَ لم يذكرها.

عملنا في التحقيق:

حقّقنا هذه الرسالة على وفق الخطوات الآتية:

وضع علامات الترقيم.

استخراج مصادر الروايات المذكورة.

شرح بعض العبارات في الهامش.

ذكر مصادر كلمات ابن فهد بشأنِ القضايا التاريخيّة المذكورة في الجواب.

صورة نسخة الأصل

مسألة: ما قول السادة الفقهاء، أئمّة الدين وهداة المسلمين – مَدَّ الله لهم العمرَ السعيد، والعيشَ الرَّغيدَ – في جلوس أمير المؤمنين وسيِّد الوَصِيِّينَ عليّ بن أبي طالب (عليه الصلاة والسلام) عن حربِ مَن تَقَدَّمَ عليه من الخلفاء وتركِ مخاصمتهم، وقيامِه في حرب معاوية، أكان إمساكه عَن حربِ الأوَّلِين عَجزًا أو لمصلحةٍ رآها؟

فإنْ قلتم: إنّه عجز، لزم النقص في شجاعته، وإن كان قادرًا ولم يفعل، لزم الإخلال بالواجب، والرضا بالظلم، وكلّ ذلك ينافي المذهب.

فبيِّنُوا لنا حقيقة الحال، يرحمكم الله، وينجّيكم من الأهوال، وصلّى الله على محمّدٍ وآله خيرِ آل، والحمد لله وحده.

الجواب – وبالله التوفيق – عن هذا السؤال وجوهٌ كثيرة، ويَنظِمُها ويُقنِعُ منها وجهان:

[الوجه] الأوّل: يُختار أنّ إمساكه صلى الله عليه وآله عنها ليس عجزًا في القوّة ولا قدحًا في شجاعته، وقد قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «والله، لو تظاهرت العرب على قتالي، ما ولّيتُ عنها عجزًا»[1]، ولكن كان في القيام مفسدةٌ وثلمٌ[2] في الإسلام أعظمُ من المصلحة الناشئة من القيام.

روى رضيّ الدين عليّ بن طاوس الحسني (قدّس الله روحه) بإسناده إلى مشايخه: «إنّ أحزابًا باليمن ونواحيها تجمّعوا وتعاقدوا على أنَّ محمَّدًا إن أثبت الخلافة في أهل بيته وثبتت لهم، نبذنا الإسلام وقاتلناهم»[3].

ومثل هذا القدر لا يخفى على النبيّ صلى الله عليه وآله، وأوصى به إلى عليّ صلى الله عليه وآله ولم يكن عليه ليخالف وصيّته[4]، وفي كلّها يقول له عليه السلام: «تَصَبَّر».

(١) شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد) ١٦: ٢٨٩ مع اختلاف يسير.

(٢) في الأصل: «وثلماً»، والصواب ما أثبتناه.

(٣) لم نعثر على مصدره.

(٤) أي: ولم يكن يجوز له أن يخالف وصيّته.

فقال له: «فإن طلبوا دمي؟»، قال: «فاشهر سيفك، واضرب بهم قدمًا، حتَّى تلقاني وسيفك يقطرُ من دمائهم»[1].

هذا جواب سكوته عن الأوائل، وكان الإسلامُ في ذلك الوقتِ ضعيفًا، وأهله قليلون.

وأمّا الجواب عن قيامه عن قتال[2] الأواخر: فكان بعد أن قوي الإسلام، وشاع في كثير من أقطار الدنيا، وباقي الأقطار بَلَغَتهم الدعوة، وتقرّرت في نفوسهم، حتّى جاء كثير من اليهود والنصارى والهنود يسألون عن النبيّ صلى الله عليه وآله ومن تخلّف وجلس مجلسه ـ في زمان الأوّل والثاني ـ ويُرشَدون إلى عليّ عليه السلام، فينصرفون عنه ويأخذون منه وقد أسلموا.

وكان قتال المتأخّرين لا على الإسلام، بل إلى[3] ردّهم إلى الدخول فيما دخل فيه غيرُهم في بيعته، وهم أتباعهم. [و]لم يتّبعوا معاوية إلّا لشبهة أدخلها عليهم بطلبهم قَتَلَةَ عثمان[4]، وأدخلوا عليهم الشبهة في ذلك. فكان

(١) لم نعثر على الرواية بنصّها المذكور، وإنّما جاء في الأمالي للشيخ الطوسي: ٤٢٥: عن أم سلمة رضي الله عنها: ... فَدَخَلْتُ، فَإِذَا عَلِيٌّ عليه السلام جَاثٍ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ: فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله، إِذَا كَانَ كَذَا وَكَذَا فَمَا تَأْمُرُنِي بِهِ؟ قَالَ: آمُرُكَ بِالصَّبْرِ. ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ الْقَوْلَ ثَانِيَةً، فَأَمَرَهُ بِالصَّبْرِ. فَأَعَادَ عَلَيْهِ الْقَوْلَ ثَالِثَةً، فَقَالَ لَهُ: يَا عَلِيُّ، يَا أَخِي، إِذَا كَانَ لَكَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، فَسُلَّ سَيْفَكَ، وَضَعْهُ عَلَى عَاتِقِكَ، وَاضْرِبْ قُدُمًا قُدُمًا حَتَّى تَلْقَانِي وَسَيْفُكَ شَاهِرٌ يَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ.

(٢) كذا، والأنسب: «بقتال».

(٣) كذا، والأنسب: «على».

(٤) أمر معاوية مناديًا فنادى الصلاةَ جامعةً، فلمّا اجتمع الناس صعد المنبر، وقال بعد كلام طويل: «أيّها الناس، قد علمتم أنّي خليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب، وأنّي خليفة عثمان بن عفّان عليكم، وأنّي لم أقم رجلًا منكم على خزاية قطّ، وأنّي وليّ عثمان وقد قتل مظلومًا، والله يقول: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾، وأنا أحبّ أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان؟!»، فقام أهل الشام بأجمعهم، وأجابوا إلى الطلب بدم عثمان، وبايعوه على ذلك، وأوثقوا له على أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم أو يدركوا ثأره أو يفني الله أرواحهم. وقعة صفّين: ٣١ـ٣٢؛ بحار الأنوار ٣٢: ٣٦٩.

الـذي في قلبـه بغض لأهل هـذا البيت ينحاز إلى معاوية، وهـو باقٍ في الظاهر عـلى الإسـلام، ومكثّرٌ[1] للمسـلمين وفي عدادهـم، ويقاتـل الإفرنج، ويأخذ بلادهـم ويضيفهـا إلى بلاد الإسـلام، ويسـكنها المسـلمون، بخلاف الأوائل، فـكان الـكلّ يهربون إلى عكس[2] الإسـلام، من الجاهليَّـةِ والهنود والنصارى. حتّـى الـرؤوس الكبار مـا دخلوا إلى الإسـلامِ أوّلًا إلّا خوفًا[3]، وثانيًـا طَمَعًا في كون الدولة لهم، وإنّما تغشّـوا[4] بالإسـلام وجعلوه سَـبَقَهم[5]، واسـتمالوا الأخـلافَ وأهـلَ الأطـماع بحقـوق آل محمّـد صلى الله عليه وآله كحاصل فـدك، والخُمس، وإنفاق ذلك عليهم.

فالثالـث اسـتأثر به، وكَثُـرَ بغُصنِه[6]، وخَـصّ به أهله، فأجمعـوا عليه وقتلوه، وانقلبـوا دفعةً على مبايعة عليّ عليه السلام؛ لِمَا قاسـوه[7] من غلظـةِ الأوّلَين، وطمعِ الثالث واسـتئثارِه[8]، وإيثارِ أهله وقومه من بني أُميّة، وتخصيصِه لهم بالعطايا[9]، وتقريبِ

(١) في الأصل: «ومكثّرًا»، والصواب ما أثبتناه.

(٢) أي: إلى ضدّ.

(٣) في هامش الأصل: «أي: خوف السيف».

(٤) تقرأ في الأصل: «تمعشوا» أو «تمقشوا».

(٥) السَّـبَق: ما يوضع في النضال والرهان، فمن سـبق أخذه. لسـان العرب ١: ٧٥٤. والمراد أنهّم جعلوا الإسلام غنيمة.

(٦) هكذا قد يُقرأ ما في الأصل.

(٧) في هامش الأصل: «نالُوه».

(٨) في الأصل: «واستياره».

(٩) قـال ابـن قتيبـة: «وكان ممّا نقموا على عثـمان أنّه آوى الحكم بـن أبي العاص وأعطـاه مائة ألف درهم بزعمهم، وقد سـيّره رسـول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ لم يؤوه (أبو بكر) ولا (عمر). قالوا: وتصدّق رسول الله صلى الله عليه وآله بمهزور ـ موضع سوق المدينة ـ على المسلمين، فأقطعها عثمانُ الحارثَ بن الحكم أخا مروان بن الحكم، وأقطـع مـروانَ فدك وهي صدقة رسـول الله صلى الله عليه وآله. وافتتح إفريقيّة فأخذ الخُمـس بزعمهم، فوهبه كلّه لمروان». المعارف: ١٩٤.

مـروان وقـد نفـاه النبـيّ صلى الله عليه وآله[1]، وإحداثِه أُمورًا كثـيرةً ليس هذا موضـع ذكرها[2]، فنقموا من القتلة، وبقي بعد قتله ثلاثة أيّامٍ حتّى جَيَّفَ، ودفنوه في حشّ كوكب من غير غسلٍ ولا صلاة، من شدّة حنقهم عليه.

وجـاؤوا إلى عـليّ عليه السلام، فبايعوه بيعة رغبـةٍ، وتداكّوا عليه، حتّـى قال عليه السلام: «من وطىء بعضكم بعضًا، حتّى خشـيت أنّكم قاتلي، وأنّ بعضكم قاتل بعض»[3]، وفي كلّهما[4] ويده مكفوفة؛ لتوكيد الحجّة عليهم، فبسطوها، ثمّ صدر عنهم بعد ذلك ما صدر.

(١) قـال ابـن عبـد البرّ عند ذكر الحَكَم بـن أبي العاص: «عمُّ عثمان بن عفّان، وأبـو مروان بن الحكم، كان من مُسـلِمَة الفتح، وأخرجه رسـول الله صلى الله عليه وآله من المدينـة وطرده عنها، فنزل الطائـف، وخرج معه ابنه مـروان. وقيـل: إنّ مـروان ولد بالطائف، فلم يـزل الحَكَم بالطائف إلى أن ولي عثـمان، فردّه عثمان إلى المدينـة، وبقـي فيها، وتـوفّي في آخر خلافة عثمان قبل القيام على عثمان بأشـهر فيما أحسـب. واختُلف في السـبب الموجب لنفي رسـول الله صلى الله عليه وآله إيّاه، فقيل: كان يتحيّل ويسـتخفي ويتسـمّع ما يُسِرُّه رسولُ الله صلى الله عليه وآله إلى كبـار الصحابـة في مشركي قريش وسـائر الكفّار والمنافقين، فكان يفـشي ذلك [عنه، حتى ظهر ذلك] عليه...». الاستيعاب ١: ٣٥٩.

(٢) قـال ابـن قتيبة: «وذكـروا أنّه اجتمع ناس من أصحـاب النبيّ (عليه الصلاة والسـلام)، فكتبوا كتابًا ذكـروا فيه ما خالف فيه عثمان من سـنّة رسـول الله وسـنّة صاحبَيـه. وما كان من هبته خُمس إفريقيّة لمروان، وفيه حقّ الله ورسوله، ومنهم ذوو القربى واليتامى والمساكين. وما كان من تطاوله في البنيان، حتّى عدّوا سـبع دور بناها بالمدينة: دارًا لنائلة، ودارًا لعائشـة وغيرهما من أهله وبناته. وبنيان مروان القصـور بذي خُشُـب، وعـمارة الأموال بها مـن الخُمس الواجب لله ولرسـوله. وما كان من إفشـائه العمل والولايات في أهله وبني عمّه من بني أميّة أحداث وغلمة لا صحبة لهم من الرسول، ولا تجربة لهـم بالأمـور. وما كان من الوليد بن عقبة بالكوفة، إذ صلّى بهم الصبح وهو أمير عليها سـكران أربع ركعـات، ثمّ قال لهم: إن شـئتم أزيدكم صلاة زدتكم، وتعطيله إقامة الحـدّ عليه، وتأخيره ذلك عنه. وتركه المهاجرين والأنصار، لا يستعملهم على شيء ولا يستشيرهم، واستغنى برأيه عن رأيهم، و...» (الإمامـة والسياسـة ١/ ٥٠). ومن الأمور الأخرى التي قام بها عثـمان هي إحراق المصاحف، وطرد أبي ذر من المدينة إلى الربذة، وتغيير الوضوء، و....

(٣) لم نعثر على هذا النصّ بعينه، ولكن روى ابن أبي الحديد: «...وازدحمتم عليّ، حتّى ظننت أنّ بعضكم قاتل بعضكم أو أنّكم قاتلي، فقلتم: بايعنا، لا نجد غيرك، ولا نرضى إلّا بك...». شرح نهج البلاغة ٦: ٩٦.

(٤) كذا، ولعلّ الصواب: «كلّها».

وكان أوّل من بايعه طلحة والزبير، وكانا أوّل من سنّ البغضاء، وأثار الحرب مع عليّ عليه السلام، فقتلا في واقعة البصرة.

وكان غايةُ من يُبغِض أهل البيت الانحرافَ إلى عدوّه، مع بقاء الإسلام، وقيام شعائره، من الحجّ، والغزاة، والجماعات في المساجد.

[**الوجه الثاني**:] والجواب[1] الكافي عن كلّ ما ذكر: أنّه ثبت بالدليل القاطع عصمته عليه السلام، وذلك يقتضي أن لا يُعارَض، وما فعله هو الحقّ والصواب.

ولأصحابنا في الجواب عن هذين الاعتراضين أجوبةٌ كثيرةٌ منتشرةٌ تشفي الغليل[2].

وهذا الجَوَابُ الأَخيرُ كافٍ لِمَنْ عَقِلَ، ومَن زَادَ على ذَلكَ فَهُوَ بَيَانٌ وَإِيضَاحٌ.

والجواب الأوّل مع أنّه مختصر[3]، يَحتمِل كلُّ سطرٍ منه أن يُوضَّح، ويُحدَّث عليه، ويُملى فيه أكثرُ من وجه[4].

وكتب الفقير إلى الله بحسب الفتيا؛ إذ عادتُها الاختصار، أحمد بن محمّد بن فهد، عفا الله عنه.

(١) في هامش الأصل: «مجُملاً».

(٢) انظر: رسائل الشريف المرتضى ١: ٣٤٣ وما بعدها، ٣: ٢٤١ وما بعدها.

(٣) في الأصل: «مختصّ».

(٤) في الأصل: «وجهه».

المصادرُ والمراجعُ

١. الاستيعاب: ابن عبد البرّ القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق عليّ محمَّد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٢. أعيان الشيعة: السيّد محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ) تحقيق حسن الأمين، دار التعارف، بيروت، ط ١، ١٩٨٣م.

٣. الأمالي: محمّد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق مؤسّسة البعثة، دار الثقافة، قم، ط ١، ١٤١٤هـ.

٤. الإمامة والسياسة: ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق عليّ شيري، دار الأضواء، بيروت، ط ١، ١٩٩٠م.

٥. أمل الآمل: محمَّد بن الحسن الحرّ العاملي (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق السيِّد أحمد الحسيني، مكتبة الأندلس، بغداد، ط ١، ١٣٨٥هـ.

٦. بحار الأنوار: العلّامة محمّد باقر المجلسي (ت ١١١٠هـ)، مؤسّسة الوفاء، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٧. الذريعة إلى تصانيف الشيعة: آقا بزرك الطهراني (ت ١٣٨٩هـ)، دار الأضواء، بيروت، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م.

٨. روضات الجنّات: محمّد باقر الموسوي الخوانساري (ت ١٣١٣هـ)، إسماعيليان، قم، ط ١، ١٣٩٠ش.

٩. رياض العلماء: المولى عبد الله أفندي (ت ١١٣٠هـ)، تحقيق السيّد أحمد الحسيني، مكتبة السيّد المرعشي العامّة، ط ١، ١٤٠١هـ.

١٠. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، ط ١، القاهرة، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م.

١١. فهرس مخطوطات مكتبة السيّد المرعشي: السيّد أحمد الحسيني، مكتبة السيّد المرعشي، ط ١، قم.

١٢. فهرس مكتبة العتبة المقدّسة الرضوية.

١٣. الكافي: محمَّد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ) تحقيق عليّ أكبر غفاري ومحمّد آخوندي، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ط ٤، ١٤٠٧هـ.

١٤. الكشكول: الشيخ يوسف البحراني (ت ١١٨٦هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط ١، ١٩٩٨ م.

١٥. كمال الدين وإتمام النعمة: الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق عليّ أكبر غفّاري، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ط ١، ١٣٩٥هـ.

١٦. الكنى والألقاب: الشيخ عبّاس القمّي (ت ١٣٥٩هـ)، مكتبة الصدر، طهران، ١٣٦٨ ش.
١٧. المعارف: ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق د. ثروت عكاشة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، ط ٢ ، ١٩٩٢م.
١٨. معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس الرازي (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق عبد السلام محمّد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
١٩. مقابس الأنوار: أسد الله التستري (ت ١٢٣٧هـ)، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام، ط ١، قم.
٢٠. النكت الاعتقاديّة ورسائل أُخرى: الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، مؤسّسة دار المفيد، ط ٢ ، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
٢١. وقعة صفّين: نصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢هـ)، المؤسّسة العربيّة الحديثة، القاهرة، ط ٢ ، ١٣٨٢هـ.